خطبة صلاة الجمعة 2/ 8/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

# (ليالٍ أقسم الله تعالى بها)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: 1 – 5].

أخرج البخاري وأبو داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«ما مِن أيام العملُ الصَّالِحُ فيهنَّ أحبُّ إلى الله تعالى من هذه الأيام العَشْرِ، فقالوا: يا رسول الله، ولا الجِهادُ؟ قال: ولا الجِهادُ، إلا رجل خَرجَ يُخاطِرُ بنفسه ومَاله، فلم يرجع بشيء»**.

وفي رواية الترمذي بسند ضعيف: **«يَعْدِلُ صيامُ كل يوم منها بصيام سنة، وقيامُ كلِّ ليلة منها بقيام لَيْلةِ القَدْر»**.

عنوان خطبة اليوم: **ليالٍ أقسم الله تعالى بها**

**أيها الإخوة:**

بدأت اليوم أيَّام عشر ذي الحِجَّة، الأيامُ التي أقسم الله تعالى بها في قرآنه، والقَسَم إنما يكون بما يُعظِّمه المُقْسِم كما تعلمون، ففي قَسَمه تعالى بأيام العشر بيانُ منزلتها وفضلها وعظمتها، قال أبو القاسم القشيري: القَسَمُ بالشيء لا يخرج عن وجهين إما لفضيلة أو لمنفعة.

وكيف لا تكون أيام العشرِ فاضلةً معظمةً وهي أيام القصد إلى بيت الله تعالى لإقامة مناسك الحج وشعائره التي هي عبودية محضة لله تعالى وخضوع لعظمته.

قال ابن حجر: فِي أيام العشر اجْتِمَاعُ أُمَّهَاتِ الْعِبَادَةِ، وَهِيَ الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَالْحَجُّ؛ وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِكَ فِي غَيْرِهَا.

وجاء في فضيلة أيام العشر حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«ما مِن أيام العملُ الصَّالِحُ فيهنَّ أحبُّ إلى الله تعالى من هذه الأيام العَشْرِ»**.

وكان سعيد بن جبير إذا دخل العشر اجتهد اجتهاداً حتى ما يكاد يُقْدَر عليه، وروي عنه، أنه قال: لا تطفئوا مصابيحكم في العشر، يريد مواصلةَ العبادة في ليلها ونهارها.

وكان أبو هريرة وعبد الله بن عمر بن الخطاب –رضي الله عنهم– يَخْرُجانِ إلى السُّوقِ في أيام العشر يُكبِّرَان ، ويُكبِّرُ الناسُ بتكْبيرِهما.

قال ابن رجب: (هذا الحديث حديث عظيم جليل).

وجاء في صحيحي أبي عوانة وابن حبان حديثُ جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«ما من أيام أفضل عند الله تعالى من أيام عشر ذي الحجة»**.

وقد كانوا يعظِّمون ثلاث عشرات: (العشرَ الأخير من رمضان، والعشرَ الأوَّل من ذي الحِجَّة، والعشرَ الأوَّل من المحرم).

واختلف العلماء في أيِّهما أفضل: عشر ذي الحجة أم العشر الأخير من رمضان؟

فقال بعضهم: أيام عشر ذي الحجة أفضل لهذا الحديث، وقال بعضهم: عشر رمضان أفضل للصوم والقدر.

والمختار أن أيام عشر ذي الحجة أفضل ليوم عرفة، وليالي عشر رمضان أفضل لليلة القدر؛ لأن يوم عرفة أفضل أيام السنة، وليلة القدر أفضل ليالي السنة.

**أيها الإخوة:**

إذا كانت أيام العشر أفضلَ الأيام، والعملُ الصالح فيها أفضلَ الأعمال، فقد أحببت أن أعرض عليكم بعض الأعمال الفاضلة نجتهد بها وبأمثالها في هذا العشر، أذكر بها نفسي والسامعين:

**1– حضور مجلس علم في المسجد:**

فقد روى الطبراني في الكبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إِلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامٍّ حِجَّتُهُ».

**2- صلاة الفجر جماعة وذكر الله بعدها إلى طلوع الشمس ثم صلاة ركعتين:**

فقد أخرج الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ صَلَّى الفجر في جماعة، ثم قَعَدَ يذكرُ الله، حتى تطلُع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة، تامةٍ تامةٍ تامة»، وفي رواية الطبراني: «من صلى الصبح ثم جلس في مجلسه حتى تُمْكِنَهُ الصلاةُ كان بمنزلة عمرة وحجة متقبلتين».

**3- إدخال السرور على الوالدين:**

أخرج الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه قال: أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه فقال «هل بقي من والديك أحد؟» قال: أمي، فقال: «قابل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد».

**4- قضاء حوائج الناس:**

في شعب الإيمان للبيهقي عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، قَالَ: خَرَجَ الْحَسَنُ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، اذْهَبْ مَعِي فِي حَاجَةٍ إِلَى فُلَانٍ، فَتَرَكَ الطَّوَافَ وَذَهَبَ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، تَرَكْتَ الطَّوَافَ وَذَهَبْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: وَكَيْفَ لَا أَذْهَبُ مَعَهُ؟ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ ذَهَبَ فِي حَاجَةٍ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَقُضِيَتْ حَاجَتُهُ كُتِبَتْ له حَجَّةٌ وَعُمْرَةٌ، وَإِنْ لَمْ يُقْضَ كُتِبَتْ لَهُ عُمْرَةٌ فَقَدِ اكْتَسَبْتُ حَجَّةً وَعُمْرَةً وَرَجَعْتُ إِلَى طَوَافِي».

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنت أوضئ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فرفع رأسه فنظر إليَّ، فقال: «يَا أَنَسُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ مُوْجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ إِدْخَالَكَ السُّرُوْرَ عَلَى أَخِيْكَ الْمُسْلِمِ؛ تُنَفِّسُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تُفَرِّجُ عَنْهُ غَمًّا، أَوْ تُرْجِي لَهُ صَنْعَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَخْلُفُهُ فِيْ أَهْلِهِ».

**5- رعاية الزوجة زوجَها وطلبُها مرضاتِه:**

روى ابن منده والبيهقي وابن عساكر وغيرهم، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي وَافِدَةُ النِّسَاءِ إِلَيْكَ، وَاعْلَمْ - نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ - أَمَا إِنَّهُ مَا مِنِ امْرَأَةٍ كَائِنَةٍ فِي شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ سَمِعَتْ بِمَخْرَجِي هَذَا أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلَّا وَهِيَ عَلَى

مِثْلِ رَأْيِي! إِنَّ اللهَ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَآمَنَّا بِكَ وَبِإِلَهِكَ الَّذِي أَرْسَلَكَ، وَإِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ، قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ، وَحَامِلَاتُ أَوْلَادِكُمْ، وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا أُخْرِجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمُرَابِطًا حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابًا، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ، فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي الْأَجْرِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِي أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟**» ثم الْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا، وقَالَ لَهَا: «**انْصَرِفِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، وَأَعْلِمِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبَهَا مَرْضَاتِهِ، وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ تَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ**» قَالَ: فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا.

### 6- صلاة الليل:

أخرج الإمام الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**» وأخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن في الليل لساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة**».

### 7- الصيام:

أخرج النسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقلتُ: يا رسول الله، مُرْني بأمر ينفعني الله به، قال: «**عليك بالصيام، فإنه لا مِثْلَ له**».

وفي رواية أنه سأله: أيُّ العمل أفضل؟ فقال: «**عليك بالصوم، فإنه لا عِدْل له**».

وعنه رضي الله عنه -فيما أخرجه الترمذي- أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**من صام يوما في سبيل الله جَعَلَ الله بينه وبين النار خَنْدقا كما بين السماء والأرض**».

### 8- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

روى الإمام مسلم عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:33].

### 9- الصدقة:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 245].

أخرج البيهقي في السنن الصغرى بإسناده عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ» - يعني يوم القيامة - قَالَ يَزِيدُ: وَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ لاَ يَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ إِلاَّ تَصَدَّقَ فِيهِ وَلَوْ بالقليل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» [البخاري].

**أيها الإخوة:**

إن أبواب الخير كثيرة، وإن أنواع العمل الصالح وفيرة، فأسمع عن صيدلاني يمتنع عن بيع كمية كبيرة من الأدوية النادرة ليبقي عنده لمرضى آخرين يحتاجونها، مع أن مصلحته الضيقة في بيعها دفعة واحدة، وأسمع عن شاب ميسور الحال يمر على بقالة فيقضي ديون بعض الزبائن المعسرين، وأسمع عمن يعتني بالشراء من الباعة المتجولين وبسطائهم ليجبر بخاطرهم، وعمن يزور مريضاً فيضع تحت وسادته مبلغاً مالياً يعينه، وعمن يعير منزله في المصيف إلى غيره يدخل السرور عليه وعلى عائلته، وعمن يعتني بأبناء الحاج الصغار في أثناء سفر الوالدين لأداء المناسك.

وهكذا تتنوع أبواب الخير وأنواع العمل الصالح ليأخذ كل مسلم منها نصيبه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77].

فتعالوا -أيها الإخوة- نري الله من أنفسنا خيراً في هذه الأيام لعلَّ الله يشملُنا بما يَعم به حجاج بيته الحرام من النفحات والعطايا والبركات.

اللهم اجعلنا في أيام العشر من أوجه من توجه إليك، وأوصل حجَّاج بيتك الحرام إلى المشاعر سالمين غانمين، وردهم إلى أهليهم مأجورين مبرورين، وأشركنا معهم في الأجر يا أكرم الأكرمين، وعجل للمسلمين بالفرج واجعله محفوفاً بألطافك.

والحمد لله رب العالمين